النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٢ / ١٩٩٩
الأحد ١٠ كانون الثاني
الأحد بعد الظهور الإلهي
تذكار أبينا الجليل في القديسين
غريغوريوس أسقف نيصص
والبار دوميتانوس أسقف مليطة
اللحن السادس
إنجيل السَحَر التاسع

الـــرســـالـــة (أفسس ٤: ٧ – ١٣)
الإنـــجـــيـــل (متى ٤: ١٢ – ١٧)

+ البار بولس الصعيدي الناسك الأول

لعلّ البار بولس الصعيدي أول ناسك عرفته المسيحية هجـــر العـــالم وعـــاش فـــي الصحراء حتى أن أبا الرهبان ، القديس أنطونيوس الكبير، يشهد له، كمـــا أرّخ لـــه القديـــس ايرونيموس (+ ٤٢٠)، وذكره القديس أثناسيوس الكبير وعدد كبير من الآباء.

مولد هذا القديس كان حوالي سنة ٢٢٨ في صعيد مصر، من والدين غنيين جداً، أمّنـــا له الثقافة العالية اليونانية والقبطية كما ربّياه تربية مســـيحية صالحـــة، فـــاغنى الله روحَـــه بالمواهب الروحية، خاصة تعلّق قلبه بالمحبة ورفض الأشياء الزمنية. توفي والداه وهو فـــي الخامسة عشرة من عمره فورث كل غناهم، إذ لم يكن له سوى شقيقة واحدة متزوجة.

بعد سنوات قليلة حرك القيصر داكيوس الاضطهاد ضد المسيحيين خاصة في مصر، فهرب بولس الى الحقول. طمع صهر بولس بالميراث دفعه الى إفشاء أمره الى السلطات دون أن يلتفت الى دموع زوجته، شقيقة بولس. فهرب بولس مجدداً، متوغّلاً أكثر في القفر بحثاً عن السلام الذي افتقده بين الناس.

لم يبتعد بولس كثيراً بقصد العودة عند زوال الاضطهاد، لكنه استطاب عيشة البراري فتوغل أكثر في الصحراء الى أن وصل الى جبل خالٍ من الأشجار وفيه ما يشبه الكهف. شقّ طريقه داخل الكهف بين أوراق النخيل الى أن وصل الى واحة فيها شجرة نخل كبيرة وفي وسطها نبع ماء تفور ماؤه في جانب منه دون أن يظهر لها مجرى. هناك وجد بقايا بيوت قديمة ومواقد نار ومطارق حديد، يبدو أنها كانت تستعمل في زمن أنطونيوس وكليوباترا لسكب النقود المزورة.

ابتهج بولس بالمكان وكأن الله أعدّه له خصيصاً، فقطن هناك في وحدة كاملة، بقية أيام حياته، مثابراً على الصلوات والتراتيل والتسابيح والتأملات الروحية.

لا نعرف الكثير عن حياته هناك إلا أنه كان يقتات من ثمار النخلة التي عاش بقربها، وكان ينسج ثوبه من أوراق هذه النخلة ليستر عريه. ويقول القديس ايرونيموس انه عندما بلغ بولس الثالثة والخمسين من عمره صنع الله أعجوبة إذ كان يرسل له كل يوم، وحتى آخر يوم من حياته، نصف رغيف من الخبز مع أحد الغربان، كما صنع مع ايليا مرّة.

لم يعلم أحد بأمر بولس وقد بلغ مئة وثلاثة عشر عاماً الى أن كشف الله أمره للقديس أنطونيوس الذي كان يظن نفسه أول ناسك في البرية. فلما كان أنطونيوس في التسعين جاءه فكر أنه لم يسبقه أحد الى البرية. فأظهر له الله في الحلم، في الليلة نفسها، أنه يوجد في القفر رجل أكمل منه، قام في الغداة ومشى الى الصحراء لا يعلم أين يتجه مفتشاً عن هذا الرجل. ظهر عليه وحشٌ، نصفه إنسان ونصفه حصان، فحسبه شيطاناً. رسم القديس نفسه بالصليب ثم طلب منه ان يرشده الى مكان سكنى عبدالله البار، فأشار الى الموضع ومضى. إتجه أنطونيوس نحو الموضع متوسلاً الى الله أن يرشده، فوجد نمرة عطشى، متجهة نحو الكهف لتشرب. تبعها فقادته الى مغارة بولس. دخل المغارة المظلمة متلمّساً طريقه، رأى نوراً خافتاً فأسرع في اتجاهه، وإذ تعثر بحجارة المغارة أصدر أصواتا سمعها بولس مما دفع هذا الأخير الى إغلاق باب الكهف. إنطرح أنطونيوس على باب الكهف متوسلاً بولس أن يفتح له لأنه لن يغادر المكان قبل أن يأخذ البركة منه أو يموت هناك.

فتح بولس الباب واستقبل أنطونيوس بابتسامة وقبّله داعياً إياه باسمه. رفع الإثنان صلاة الشكر معاً وتحادثا. وسأله بولس عن أحوال العالم وما اذا كان يوجد بعد عميان

يسيرون وراء عبادة الوثن والشيطان. وأثناء حديثهما جاء غراب برغيف خبز. فرح بولس جداً وقال لأنطونيوس: " أترى كم هو صالح الله الذي يعطينا طعامنا في حينه؟ لقد صار لي في هذا الموضع ستون سنة والله يرسل لي كل يوم نصف رغيف. واليوم، وقد أتيتني زائراً، ضاعف الحصة لأنه يهتم بالذين يخدمون ". أمسك القديسان الرغيف وقسماه وأكلا ثم شربا من النبع. وامضيا باقي الليل في الصلاة والترتيل. وعند الفجر قال بولس لأنطونيوس: " ان المعلّم الإلهي أرسلك لتدفن جسدي، لترد التراب الى التراب ". وطلب منه أن يذهب الى مكانه ويجلب الرداء الذي أعطاه إياه القديس أثناسيوس وذلك بهدف إبعاد أنطونيوس عنه عند وفاته فلا يحزن، ولكي يعلن أنه يموت على شركة مع المدافع عن الإيمان القويم أثناسيوس.

أسرع أنطونيوس الى ديره بعدما قبّل يدي الشيخ بولس، ولما وصل شاهده تلاميذه يقرع صدره مردداً: " ويل لي أنا الخاطىء الشقي الذي يحمل اسم ناسك عن غير حق ! لقد رأيت ايليا، رأيت يوحنا في البرية ... رأيت بولس في الفردوس ". أخذ الرداء واتجه عائداً الى مقر بولس، وبعد مسير ثلاث ساعات انكشفت له رؤيا سماوية وشاهد القديس البار بولس مرتقياً الى السماء ملتحفاً بالأنوار المشرقة ومحاطاً بالملائكة والقديسين. حزن أنطونيوس لأن بولس لم يسمح له بتوديعه. إنطرح أرضاً وبكى طويلاً. بعدها نهض وتابع المسير نحو الكهف فوجد جسد القديس في حالة ركوع، فظن أنه يصلّي. ركع بقربه وصلّى وإذ انتبه أن بولس لا يتنفس عرف أنه مات فعلاً فألقى بنفسه عليه وقبّله وبكى، ثم سحب جسده الى خارج المغارة ولفّه برداء القديس أثناسيوس، لكنه تحيّر في أمر حفر القبر إذ لم يكن لديه ما يحفر به. إرتبك فإذا بأسدين تقدّما من عمق الصحراء وربضا قرب قدمي بولس، ثم أخذا يحفران بمخالبهما الى أن أحدثا حفرة على قدر جسد بولس. ثم اقتربا من أنطونيوس ولعقا يديه ورجليه كأنهما يطلبان البركة، وعندما باركهما أنطونيوس انصرفا. شكر أنطونيوس الله على اهتمامه ثم دفن جسد القديس بولس وعاد الى مقره حاملاً معه رداء بولس المصنوع من ورق النخيل وكان يلبسه في عيدي الفصح والعنصرة. كان ذلك سنه ٣٤١ أو ٣٤٢. فبشفاعة قديسك البار بولس الصعيدي يا رب ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ ذكرى ختانة السيد

صباح الجمعة ١ كانون الثاني ١٩٩٩ وبمناسبة ذكرى ختانة الرب يسوع بالجسد وعيد القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية كابادوكية ترأس سيادة المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية وألقى بعد قراءة الإنجيل المقدس العظة التالية:

سمعتم الرسول بولس يقول في المقطع الذي تلي عليكم من رسالته الى أهل كولوسي: " أنظروا أن لا يسلبكم أحد بالفلسفة والغرور الباطل حسب تقليد الناس، على مقتضى أركان العالم لا على مقتضى المسيح. فإنه فيه يحلّ كل ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم مملوءون فيه وهو رأس كل رئاسة وسلطان، وفيه ختنتم ختاناً ليس من عمل الأيدي بل بخلع جسم البشرية عنكم بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية التي فيها أيضاً أقمتم معه بإيمانكم بعمل الله الذي أقامه من بين الأموات" (٢: ٨-١٢).

في هذا المقطع يحذر بولس الرسول أهل كولوسي من الفلسفة الخاطئة أو الكلام الذي سمي خطأ فلسفة، ويؤكد لهم أن غاية بشارته أن يصبحوا آلهة ، أن يعودوا الى الفرح الكبير الذي كان لهم عندما كانوا مع الله، أي أن طريقهم يجب أن يكون على مقتضى الإنجيل الذي يوصلهم الى الاتحاد بالله. غايته أن يصل بهم الى المسيح الذي تجسّد وصار إنساناً وهو إله، لكيما إذا اتحدنا به نصبح في الله. عندما نصبح بشراً كاملين في المسيح، الإنسان الكامل، نصبح آلهة على صورته هو الإله.

يحذر بولس الرسول أهل كولوسي، وعبرهم كل المؤمنين، أن يحذروا كل كلام لا يبني أكان صادرا عن كاهن عظيم أن فيلسوف كبير أو شاعر يخطف الألباب، لأن كل كلام لا يؤدي الى المعرفة الحقة، الفلسفة الحقيقية، كلام مضل للنفس والإنسان.

الكلام من الكلمة. قال الله في البدء كن فكان. وبعد الولادة الجديدة بقيامة المسيح، يبدأ يوحنا إنجيله بالقول " في البدء كان الكلمة." بالكلمة خلق الكون وبالكلمة يتجدد الإنسان. فإن لم تكن كلمتك حاملة صدقا فهي لا تبني. وعندما تتكلم بالصدق والنية الصافية فكلامك يبدع في الآخرين وقد يحولهم. أنت تدين الكاذب والشرير بصدقك واستقامتك ونزاهتك، أما إذا كنت مثله فلا أثر لكلامك ولا جدوى. إذا لم يحمل كلامك غرورا فهو إلهي وبناء وإذا كان نابعا من معين الغرور والكبرياء فهو شيطاني يفسدك ويفسد من حولك، لذلك يحذرنا بولس الرسول من الفلسفة والغرور الباطل لأن من يدعي الفلسفة ينتفخ بريح الشر والغرور عوض أن يتضع وينحصر بروح المحبة والتواضع. يحذرنا من سماع كلام أناس لا تنضح وجوههم محبة وحياتهم قداسة، حتى لو كانت كلماتهم دررا، لأنهم يتكلمون بجواهر قد تكون مأخوذة من الكتب لكنها تفتقر الى الخبرة الكيانية الحياتية. فالنحات قد ينحت وحشا ويرصعه بالحجارة الكريمة، لكن الوحش يبقى وحشا رغم الجواهر بحسب الصورة التي أعطاها القديس ايريناوس. والكلام يبقى كلاما، وإن منمقا، إن يكن وليد المعاناة الصادقة والخبرة الحية. إن لم يعجن الإنسان نفسه بأعمال الخير والصلاح، كيف ينتج خيرا وصلاحا؟ فلا يسبكم أحد بشعر او خطابة أو فلسفة ولا يغرنكم بكلام إلا إذا انحدر بتواضعه الى فردوس القداسة. نحن نصور

الجحيم في الاسفل وأنا أقول إن الإتضاع يجعل الأسفل علواً والتواضع رفعة وكأن الإنسان القديس ينزل الى الجحيم ليجعله فردوساً. قال القديس سلوانس " ضع رأسك في الجحيم ولا تيأس إذا كان الله معك." وأنت إيها المؤمن عليك أن تبشر في كل حين، والبشارة تأتي من النور الإلهي الذي يبعثه الروح القدس الساكن فيك والمستقر في قلبك. إن كلمة فلسفة ذات أصل يوناني: فيلوصوفيا. فيلوس تعني صديق وصوفيا حكمة، فيكون معنى فلسفة أو فيلوصوفيا صديق الحكمة أو المعرفة الحقة. ومن أين تأتي المعرفة الحقة إلا من ينبوع الحق؟ عندما سأل بيلاطس يسوع ما هو الحق أجاب يسوع أنت تقتلني ولا تعرف ما هو الحق وكأنه يقول له أتقتل الحقَّ وتسأل عنه. ولكن عندما سأله محبّوه قال لهم " أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤:٦) المؤمن يرتوي من نبع هذا الحق، يتعلّم الحكمة من يسوع، حكمة الله وقوّته.

في القديم أقام الله عهداً بينه وبين إبراهيم : " هذا عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك: يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم.ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم" (تكوين ١٧: ١٠-١٢). ما القصد من هذا العهد؟ ان الدم الذي يسيل هو الحياة التي تجمع. الحياة في الدم تصبح حياة مشتركة، وبقطع الغرلة يصبح النسل نسل الله أي أولاد إبراهيم يصبحون أبناء الله. هذا كان رسماً للمسيح ورمزاً. بعد المسيح لا حاجة للختان لأننا بالمسيح أصبحنا أبناء الله. لكننا لا نصبح أبناء الله إلا متى سمحنا للروح القدس أن يسكن فينا وينقّينا ويطهّرنا من كل خطايانا ويبعدنا عن كل شر. جاء في سفر التثنية: " اختنوا غرلة قلوبكم ولا تصلّبوا رقابكم بعد لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب" (١٠:١٦). إذا شئتم أنفسكم أبناء لله عليكم أن تنصاعوا له بالطاعة. بعد المسيح الختان لم يعد في الجسد. إنه في قطع كل زائد وغير مفيد، في أن نختن اليد من كل عمل لم تُصنع له كالقتل والسرقة والرشوة وما شابه، أن نختن الرِجْل لكي تقوم بقصدها، وقصدها أن تسير نحو الصلاح والخير، وأن نختن القلب لنزيل منه كل شائبة تعرقل عمله، وعمل القلب أن ينبض حياة، أن يدفع الى الجسد دماً يحييه، ان يبعث بمشاعر تحيي الآخرين إن كانوا في ظلمة اليأس والموت. ختان القلب يسألنا يسوع اليوم ولا نستطيع أن نختن قلوبنا إلا إذا سكن يسوع فيها.

سمعتم في الإنجيل ان والدة يسوع مريم ذهبت مع خطيبها يوسف كعادتهما كل سنة في عيد الفصح الى الهيكل في أورشليم، واصطحبا يسوع الذي كان في الثانية عشرة من عمره أي في سن المراهقة والمراهقة هي القوة الدافعة الى الاتجاه. المراهق يتأرجح في كل جهة مفتشاً عن الاتجاه الأفضل. اصطحبت مريمُ يسوع الى الهيكل وكأنها تقول له أنا أعلّمك

اليوم ما تعلّمتُ: إن القصد والاتجاه الصحيح هو ما يؤدي الى الله. هو الهيكل وسكناه. وتركته حرًّا. ودليلنا أنها ويسوف أضاعاه في طريق العودة وظنّا أنه " مع الرفقة "، وإذ لم يجداه رجعا الى أورشليم يطلبانه وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل" (لوقا ٢: ٤٥-٤٦)، وعندما عاتبته أمه قائلة " يا بني لماذا فعلت بنا هكذا، هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذّبين، قال لهما لماذا كنتما تطلباننني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي" (لوقا٢:٤٩)، وكأني به يقول لأمه أنا تربيت على يدك، في أحضانك، فإن كنتِ قد هيأتني لأكون لله أفلا ينبغي أن أكون حيث يجب؟من منكم إذا ترك الحرية لأولاده يجدهم في الكنيسة أو في ما لله ؟؟ نحن نحصد ما نزرع، ومن زرع في نفس ولده حب الله – بالتعليم والقدوة – يقطف سلوكاً لائقاً وأخلاقاً عالية واتجاهاً نحو الإيمان والكنيسة وحفظ الوصايا ومحبة الله والقريب.

يقول لنا الإنجيلي إن يوسف ومريم لم يفهما كلام يسوع، أما هو فعاد معهما الى الناصرة وكان خاضعاً لهما. وأولادكم يجب أن يخضعوا لكم إن كنتم خاضعين لله، أما إذا كان مقصدكم غير وجه الله فأنا أصلّي كي يصلّي أولادكم من أجلكم. قال يسوع " جئت لألقي ناراً على الأرض ... أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض. كلا أقول لكم بل انقساماً... فينقسم الأب على الابن والابن على الأب" (لوقا ١٢: ٤٩-٥٠) أي يخرج الابن عن طاعة أبيه إن أبعده هذا الأخير عن الله وعرقل مسيرته نحو القداسة. وفي التاريخ العديد من الأباطرة والملوك قتلوا أولادهم لأنهم أصبحوا للمسيح.

يسوع كان طائعاً لوالديه وأمه كانت تحفظ كلامه في قلبها. من منكم يقراً الإنجيل ويحفظ كلامه في قلبه؟ نحن ندّعي الفلسفة الباطلة ونكثر الكلام ظنًّا أننا نفهم أكثر من غيرنا. نصبح كذلك إن سكن الله قلبنا، وعندما يستقر الله في قلب أحدنا يقلّ كلامه خشية الكبرياء والتجبّر.

يسوع الذي صار إنساناً خضع للناموس واختتن. التربية لا تحصل إلا بالقانون والقاعدة. أنت لا تحسن تربية ابنك إن سمحت له أن يفعل ما يشاء. الولد لا يعرف شيئاً. أن تعلّمه. أنت تضبط أولادك في البيت وتعلّمهم وكما تطعمهم على قدر استيعاب معدتهم عليك مدّهم بالغذاء العقلي على قدر طاقة استيعاب عقولهم. الطفل لا نطعمه لحماً كما يقول بولس الرسول بل حليباً ولبناً (١ كو ٢:٣) وإن أطعمت طفلك المولود حديثاً لحماً قتلته. فلحذروا إذاً من تقديم ما لا يستطيعون مضغه لأطفالكم كي لا تقتلوهم. والعصا لم تضر ولداً قال سليمان. العصا لا تؤذي إن كان حاملها ذا قلب محبّ لأنها تؤدب وتوصل الى الأفضل.

نحن سعداء لأن العصا رُفعت في بلدنا والقانون. الإنسان جبان يخاف على كرامته وشرفه إذا افتضح أمره. لا يخشى عليهما إذا عمل في السر، في الظلمة، كوطاويط الليل، ولو

سبّب الأذى لغيره. ولكن متى عمّت سلطة القانون وسطع نور الله اختبأ وتحاشى الظهور. العصا لم تضر أحداً، إنما العصا المُحِبّة العادلة. الفلسفة والعلم ضروريان لكن الضروري أكثر أن نعلّم الناس كيف يسيرون على طرقات بانتظام ويحترمون القوانين والأنظمة ولا يتعدّون على حريات الغير أو الأملاك العامة. ما نفع الفلسفة إن تعلّمها من يقلق راحة جاره طيلة الليل بسبب الضجيج والموسيقى الصاخبة المنبعثة من بيته أو مطعمه؟ وهل بإمكان مثل هذا او من أمضى الليل الماضي في الرقص والمقامرة والسكر أن يكلّمني في المسيحية أو الإسلام؟ أو يناقشني بما يخصّ المسيح وكنيسته؟

لقد تألم وطننا وما زال يتألم، وسيمرّ بمخاض أليم قبل أن يعرف الراحة، لأن الدولة تحاول الآن الحفاظ على كرامات الناس بمساومات لطيفة لا تخلو من المحبة، كي لا يقولوا للسارق سرقت وللمرتشي ارتشيت. إن القانون ضروري لوضع المواطن على السكة الصحيحة. يقول بولس الرسول " لقد كان الناموس مؤدّبنا الى المسيح" (غلاطية ٣: ٢٤)، وفرض القانون على الجميع يؤدي بنا الى المجتمع الصالح.

صلاتي أن يعمّ الصلاح هذا المجتمع كي يعمّ الخير والبركة. صلاتي أن يكون رأس السنة مناسبة تأمّل وصلاة وتوبة بدل أن يكون مهرجان رقص وسكر ولهو. وأرجو أن تلعب وسائل الإعلام دوراً تربوياً فلا تستدرج الناس الى السهر على برامج اللهو، بل تدعوهم الى الصلاة والتضرّع الى الله كي يجعل السنة القادمة سنة مباركة يتحوّل فيها الشر الى خير والموت الى حياة والضغينة الى محبة. وكما يتسابقون في الأسبوع العظيم على بث الصلوات والقداديس، ليتهم يتسابقون في نهاية كل عام على دعوة المواطنين الى الرجوع الى الذات وفحص الضمير والتوبة والصلاة، عوض دعوتهم الى سهرات تلوث النفوس بما تعرضه من عري وابتذال، لكنها تجلب المال والربح. " إن محبة المال أصل كل الشرور" (١ تيموثاوس ٦:١٠) أرجو أن نصل الى زمن – قد يكون في الفردوس – تصبح فيه وسائل الاعلام منارات تبث ما يغذي نفوسنا ونفوس أطفالنا. وإن سهرتم هذه السنة في لعب الورق أرجو أن تسهروا السنة القادمة في الصلاة وفي تذوّق ما طهته أمهاتكم أو زوجاتكم بمحبة وبماء القلب عوض التهام ما تقدمه لكم المطاعم في جو صاخب وموبوء، بعيد كل البعد عن الله والقداسة. وإن كان الله غايتكم، عساه لا يسمح بإدخالكم في التجربة فنسمع أصواتكم عالية تعلن أن ليس في الكون ما يستحق انتباهنا غير الله.

دعائي أن يوفق الله حكامنا وأن يسكن فيهم ويبعد عنهم الظلم فيحكمون في رعيته التي سلّمهم إياها بالعدل والمحبة والاحتضان. وصلاتي من أجل شعبنا أن يأكل من بركة الله فتجعل أيامه فرحاً واولاده ثماراً يفرح بها ويفتخر فلا تخزى الوجوه.

أعاد الله عليكم هذه الأعياد المقدسة بالخير والبركة ومتى سعيتم أن تقفوا أمام الله بلا ملل أو تعب تصبحون على أعتاب.

+ تأمل

علينا أن نسرع الآن ونتقدّم الى النِعَم الإلهية. المعمودية تعطينا هذه النِعمَ. تعيد الأموات الى الحياة والأسرى الى الحرية والساقطين الى عالم فوق الطبيعة. لقد دُفع البدل وصار الوقت وقت انعتاق. لقد انتشر الأريج وملأت رائحة العطرة كل شيء ولم يعد علينا الا ان نتنشقه. المخلصّ وهبنا قوة التنشق والاستنارة والتحرّر. لم ينشر المخلّص الأريج ولم يهب النور بمجيئه فحسب بل خلق حاسة النظر والشم. فالغسل الخلاصي يتعهد الآن المواهب والحواس عند المستنير حديثاً. ننزل الى الماء كمادة مريضة، لا شكل لنا، لنأخذ شكلاً كله جمال. وتبتدىء تفجرات الخيرات من هذه اللحظة. الوليمة حاضرة والثيران والحيوانات المسمّنة قد ذبحت. " كل شيء قد أعد فهلموا الى العرس " (متى ٢٢: ٤). أينقص العيد غير الذين رفضوا قبول الدعوة ؟ واذا قبلوها فأي شيء يعكر سعادتهم ؟ لا شيء.

المفروض أن نكون على تمام الاستعداد للمثول أما المسيح في الحياة المستقبلة، وعلينا أن نكون مستعدين ايضا لنتقدم من الوليمة. يكفي أن نتقدم لنحصل على كل شيء، ولا مجال للعذارى الجاهلات في الوليمة.المشوهون مدعوون لوليمة الفرح. لا يمكن للميت أن يحيا ولا للأعمى أن يبصر ولا للأبرص أن يشفى اذا لم يلب الدعوة الى الوليمة الملوكية. يكفي أن تكون لنا ارادة حسنة ويقظة روحية على الأرض وكل ما تبقى يأتي. " أتيت الى العالم لتكون لهم حياة " (يوحنا ١٠:١٠) " أنا أتيت نورا للعالم " (يو ٣: ١٩) وهذا كله من ينابيع رحمته.

لقد ترك الله لنا بالرغم من كل عطاياه الغزيرة من أجل خلاصنا شيئا نسهم به في خلاصنا الشخصي. نعم ان المساهمة اذا قيست بغنى العطايا تعد ضئيلة جدا ولكن لهذه المساهمة وزنا في ارادة الله. يكفي أن نعتقد بخلاصنا بواسطة المعمودية، وان نوافق باختيارنا ان نتقدم اليها، حتى تعطى لنا كل الاستحقاقات، وهكذا يصبح الواهب مدينا بالخيرات التي فعلها من أجلنا. ان يماننا بأننا اذا متنا بعد المعمودية فورا فإننا لن نحمل غير طابع المعمودية لأكثر من حقيقة، سيخصنا لله بالإكليل كأننا قمنا بالجهاد من أجل الملكوت السماوي.

بما ان المعمودية تهب الحياة للمستنيرين فلنبحث طبيعة هذه الحياة. يمكن ان نجزم مسبقا ان هذه الحياة ليست مماثلة للحياة الأولى ومطابقة لطبيعتنا بل أسمى لأنه ماذا ينفع الموت اذا كان لا ينتهي الا بالحياة الأولى، او اذا كانت الحياة الجديدة لا تحملنا الى أعمال جديدة؟ ان هذا لا يغني غير الموت. ان هذه الحياة ليست بحياة ملائكية لأنه لا جامع يجمعنا

بالملائكة. ان الإنسان هو الذي سقط واذا أصبح الإنسان ملاكاً لا يعني هذا انه قام. ان هـــذه الحالة تشبه تمثالاً محطّماً لا يعيده الفنان الى شكله البرونزي الأول بل يعطيه شـــكلاً آخـــر، وهذا يعني انك تخلق شيئاً آخر لا أن تعيد شكل التمثال من جديد. من الضروري أن تكـــون هذه الحياة بشرية وفي الوقت نفسه جديدة وأسمى من الأولى وكل هذه الصفات تلتقـــي فـــي الحياة التي جاء بها يسوع المسيح.

لا شيء يربط هذه الحياة الجديدة بالإنسان العتيق. انها أسمى بكثير مما يتصوّره العقل والإدراك، وخاصة بالطبيعة الإلهية. انها مطابقة لطبيعتنا لأنها كانت حياة إنســـان عاشـــها، والإنسان هذا كان انساناً حقيقياً كما كان في الوقت نفسه إلهاً حقيقياً خلواً من كل خطيئة حتـــى في طبيعته البشرية. لأجل ذلك يجب ان تشرق فينا الحياة بالمسيح المعطاة لنـــا بالمعموديـــة المقدسة التي تجعلنا انقياء بمياهها المقدسة، طاهرين من كل دنس الخطيئة. ويتضح ذلك ممـــا يأتي : الولادة بالمعمودية بدء الحياة المستقبلة وتكييف الاعضاء الجديدة والحواس، انها تهيئـــة للحياة المستقبلة ولا سبيل للتهيئة الى الحياة الأخرى الا باقتبال سر المعموديـــة للحيـــاة فـــي المسيح " آب الدهر الآتي " (اشعيا ٩: ٦). انها تنقل الى البشر حياة الخلود التي قادها آدم الى الموت. وكما اننا لا نستطيع ان نحيا الحياة الطبيعية اذا كنا غير مزودين بـــالحواس الآدميـــة وبالقوى الحيوانية. كذلك لا يمكننا أن ندخل أحياء الى العالم المغبوط بدون أن نكون قد تـــهيأنا بحياة المسيح وتطابقنا معه في الصورة والمثال.

الأب نقولا كاباسيلاس

(١٢٩٠ - ١٣٧١)